Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التأليف البارع بين الثمار ، والاغصان، والجنان والعناب ، ولكن هذه الصورة الجميلة ذاتها تذهب بددا اذا ما راح العقل يسلبها عصارة الحياة اذ يلتمس العلاقة الواضحة بين الاغصان والاصابع والعناب .

ويلوح ان نظرة عبد القادر الى فضل الغموض قد تمكنت منه حتى جعلها علما على البلاغة ، فلاحظ انها تنفرد به بين جميع العلوم ، فاذا كانت العلوم جميعها تعتمد التصريح ، فالأمر في علم الفصاحة خلاف ذلك : (فانك اذا قرأت ما قاله العلماء فيه ، وجدت جله ، اوكله رمزا ، ووحيا وكتابة ، وتعريضا وايماء الى الغموض من وجه لا يفطن له الا من غلغل الفكر وادق النظر ، ومن يرجع من طبيعته الى المعيته، يقوى معها على الغامض ويصل بها الى الخفي ، حتى كان بسلاً حراما ان تتجلى معانيهم سافرة الاوجه لانقاب لها ، وبادية الصفحة ، لا حجاب دونها ، وحتى كأن الافصاح بها حرام وذكرها الا على سبيل الكتابة والتعريض غير سائغ)[1] الغموض اذن مدار البلاغة ، ويصعب على الذهن ان يوفق بين ما ذهب اليه عبد القاهر هنا ، وبين ما كاد النقاد ان يجمعوا عليه من امر الرؤ ية والوضوح ، ولا سيا ان عبد القاهر نفسه لم يكن بمعزل عن طلب المرئي والواضح ، كما رأينا في كلامه على الانس الحاصل بالانتقال عن الصفة الى العيان بما يزيل الريب[2] . على أن عبد القاهر يبقى منسجماً مع جوهر مذهبه فيا ينبغي من لطف المعنى الذي يصعب ادراكه من الوهلة الأولى ، لما في ذلك من متعة خفية منشؤ ها المعرفة بعد جهل ، وهذا هو ما يريده بالغموض المركوز في جِبِلّة الانسان : (من المركوز في الطبع ان الشيء اذا نيل بعد الطلب له او الاشتياق اليه ، ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى ،

---

(١) دلائل الاعجاز : ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠

(٢) انظر : اسرار البلاغة ص ١٠٥ ـ ١٠٦